

من صحابة الرسول

المجموعة الثانية

١٥

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ

اللَّهُ التَّيْمِيُّ

فانيس محمد عزت

طلحة بن عُبَيْد الله

اتَّفَقَ يَاسِرٌ وَصَدِيقُهُ أُسَامَةُ ، أَن يَقُومَا بِرَحْلَةٍ إِلَى حَدَائِقِ
خُلُوانٍ غَدَاً ، فَيَرْكَبَا إِلَيْهَا « مِتْرُو الْأَنْفَاقِ » ، وَيَقْضِيَا يَوْمًا
جَمِيلًا مُمْتِعًا بَيْنَ الْحَدَائِقِ ، وَيَزُورَا مُتَحَفَ الشَّمْعِ ،
وَمَصَانِعَ الْحَدِيدِ وَالصُّلْبِ .

وَفِي صَبَاحِ الْغَدِ فُوجِيَ يَاسِرٌ بِاعْتِدَارِ صَدِيقِهِ أُسَامَةَ ،
وَطَلَبِهِ تَأْجِيلِ الرَّحْلَةِ إِلَى صَبَاحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْقَادِمِ ، لَذَهَابِهِ
مَعَ وَالِدِهِ إِلَى مَحَلِّ عَمَلِهِ .

قَالَ يَاسِرٌ : إِنِّي أَعْجَبُ يَا وَالِدِي لِأَمْرِ أُسَامَةَ ، فَهُوَ
يُصِرُّ عَلَى الْعَمَلِ مَعَ وَالِدِهِ ، مَعَ أَنَّ وَالِدَهُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ
بَسَخَاءٍ وَلَا يَرْفُضُ لَهُ طَلَبًا ، فَلِمَاذَا يُرْهِقُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ ؟
قَالَ وَالِدُهُ : وَلِمَاذَا الْعَجَبُ ؟ إِنَّ أُسَامَةَ غُلَامٌ نَشِيطٌ ،
يُحِبُّ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ الْعَمَلُ وَسِيلَةً لِّجَمْعِ
الْمَالِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّهُ كَذَلِكَ غَايَةٌ تُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ عَلَى

تكوين شخصيته . ثم إن ما تشتريه من مالك الذى اكتسبته بعرق جبينك ، تكون له دون شك قيمة خاصة عندك .

قال ياسر : ولكن أسامة لا يزال صغير السن يا أبى .
 قال والده : ليس للعمل سن معينة ، وقد حثنا ديننا الحنيف على العمل وحبنا فيه . أتدرى يا ياسر أن موقف صديقك أسامة ، ذكرنى بموقف أحد صحابة الرسول قبل أن يسلم ، فقد نشأ فى بيت ينعم بالترف والثراء ، ويعد من أشراف مكة ، ولم يكن من الشباب المدلل يقضى وقته فى اللهو واللعب ، ولكنه اعتمد على نفسه ، وشق طريقه فى الحياة ، فعمل بالتجارة وجاب البلاد شرقاً وغرباً فى طلب الرزق . فلم يكن يرضى إلا بالمال الذى يكسبه بكده وتعبه ، ويرفض المعيشة الهينة السهلة .

قال ياسر متشوقاً لمعرفته : من هو يا أبى ؟

ابتسم والدّه وقال : حَذَر يا ياسر ، وسأقولُ لك بعضَ
المعلوماتِ عنه ، وعليكَ أن تُخَمِّنَ من يكون :
إنّه أحدُ العَشْرَةِ المُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ .

وأحدُ الثَّمَانِيَةِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وأحدُ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ .

وأحدُ السِّتَةِ الَّذِينَ حَصَرَ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

الشُّوْرَى ، لاختيارِ من يتولَّى خِلَافَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ .

وأحدُ الَّذِينَ تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وهو راضٍ عنهم .

وهو الَّذِي بَشَّرَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأنه جَارُهُ

فِي الْجَنَّةِ .

أَجْهَدَ يَاسِرٌ نَفْسَهُ فِي التَّفْكِيرِ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ أَخِيْرًا وَهُوَ

مُتَحَيِّرٌ : لِمَ أَدْرِ بَعْدُ مَنْ يَكُونُ يَا أَبِي ؟ هَلْ لَكَ أَنْ تَكَلِّمَنِي

عنه أَكْثَرَ ؟

قَالَ وَالِدُهُ : لَقَدْ قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ يَاسِرٌ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُخَمِّنَ مَنْ يَكُونُ صَاحِبُ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الْفَرِيدَةِ ، فَقَرَّبَهَا إِلَيْهِ وَالِدُهُ بِقَوْلِهِ : لَقَدْ لَقَّبَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِـ « طَلْحَةَ الْخَيْرِ » وَ « طَلْحَةَ الْجَوَادِ » وَ « طَلْحَةَ الْفَيَاضِ » . وَقَالَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : إِذَا ذُكِرَ يَوْمٌ أَحَدٌ ، فَذَلِكَ كَانَ يَوْمَ طَلْحَةَ .

هَلْ عَرَفْتَ الْآنَ مَنْ هُوَ يَا يَاسِرُ ؟

قَالَ يَاسِرٌ : قَدْ عَرَفْتُهُ بِالطَّبْعِ ، فَهُوَ طَلْحَةُ .

ابْتَسَمَ وَالِدُهُ وَقَالَ : يَا لِلْعَبْقَرِيَّةِ يَا يَاسِرُ ؟ أَلَمْ تَعْرِفْ بَعْدُ

طَلْحَةَ مِنْ ؟

هَزَّ يَاسِرٌ رَأْسَهُ نَافِيَا ، فَأَكْمَلَ وَالِدُهُ كَلَامَهُ : هُوَ طَلْحَةُ

ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ . أَتَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ قِصَّتَهُ ؟

قال ياسرٌ مَسْرُورًا : بالطَّبعِ أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَها . وَأَعْتَقِدُ
أَنَّها قِصَّةٌ تُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ .

راحَ والدُه يَحْكِي قِصَّةَ طَلْحَةَ بِنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، قال :
كان طَلْحَةُ كما قُلْتُ لَكَ قَبْلُ مِنْ أَشْرَافِ مَكَّةَ ، وكانَ
يُحِبُّ الْعَمَلَ وَالتَّجَارَةَ ، وَذاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي تِجَارَةٍ لَهُ بِأَرْضِ
«بُصْرَى» ، إِذا بِأَحَدِ الرُّهْبَانِ يُنادى : يا مَعْشَرَ التُّجَّارِ ،
سَلُوا أَهْلَ هَذَا الْمَوْسِمِ : أَفِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ؟

فردَّ عَلَيْهِ طَلْحَةُ : نَعَمْ ، أَنَا مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ .

قالَ الرَّاهِبُ : هَلْ ظَهَرَ فِيكُمْ أَحَدٌ ؟

ردَّ طَلْحَةُ : وَمَنْ أَحَدٌ ؟

قالَ الرَّاهِبُ : أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . هَذَا
شَهْرُهُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ . وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ ، يَخْرُجُ مِنْ
أَرْضِكُمْ مِنَ الْحَرَمِ ، وَيُهَاجِرُ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ حِجَارَةٍ سَوْدٍ
وَنَخِيلٍ وَسِباخٍ ، يَنْزِلُ فِيهَا الْمَاءُ . فَإِيَّاكَ أَنْ تُسَبِّقَ إِلَيْهِ يَا فَتَى .

قَالَ يَاسِرٌ مُتَعَجِّبًا : إِذَا كَانَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مَوْقِنِينَ
يَا أَبِي بَنْبُوتَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَّهُ آخِرُ
الْأَنْبِيَاءِ ، فَلِمَاذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ؟

قَالَ وَالِدُهُ : إِنَّهُ يَا وَلَدِي الْكِبَرُ وَالْعَصِيَّةُ الْقَبْلِيَّةُ.

* * *

وَمَا أَنْ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ كَلَامَ الرَّاهِبِ ، حَتَّى
تَرَكَ كُلَّ مَا يَخْصُهُ .. تَرَكَ الْقَافِلَةَ وَعَرُوضَ التَّجَارَةِ ،
وَأَسْرَعَ فَاثْمَطَى جَوَادَهُ وَعَادَ إِلَى مَكَّةَ ، لِيَتَحَقَّقَ بِنَفْسِهِ مِنْ
صِحَّةِ كَلَامِ الرَّاهِبِ .

وَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَى مَكَّةَ حَتَّى سَأَلَ أَهْلَهُ : أَكَانَ مِنْ حَدَثٍ
بَعَدْنَا فِي مَكَّةَ ؟

قَالُوا : نَعَمْ . فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ،
وَقَدْ تَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ .

فَأَسْرَعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ

النَّبَأُ . فاندھش أبو بكر من أمرِ الرَّاهِبِ ، وصَحِبَ طَلْحَةَ
إِلَى الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيُقْصَّ عَلَيْهِ نَبَأُهُ ،
وَلِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ الرَّسُولُ فِي أَمْرِهِ .

وما أن لَقِيَ طَلْحَةُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَاسْتَمَعَ إِلَى بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، حَتَّى أَشْرَقَ
فُؤَادُهُ بِالنُّورِ وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَابٍّ مِنْ قَبِيلَةِ
تَيْمٍ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ جَاهِ طَلْحَةَ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ فِي قَوْمِهِ ،
وَوَثَائِهِ الْعَرِيضِ وَتِجَارَتِهِ النَّاجِحَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ نَالَ حَظَّهُ مِنَ
الاضْطِّهَادِ وَالْعَذَابِ فِيمَا بَعْدَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ
جَزَعًا لِإِسْلَامِهِ ، فَقَدْ كَانَتْ تَرْجُو لَطْلِحَةَ أَنْ يَسُودَ قَوْمَهُ .

فَلَمَّا لَمْ تُفْلِحْ مَعَهُ أَسَالِيبُ الْإِقْنَاعِ وَالْحِيلَةِ ، لَجأتْ إِلَى
تَعْذِيْبِهِ ، فَأَوْثَقَتْ يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ ، وَدَفَعَتْ النَّاسَ إِلَى ضَرْبِهِ

و ذاتَ يومَ بينما كان هو وأبو بكرٍ يَنويانِ الصَّلَاةَ عند
الكعبةِ ، إذا بنو فُل بن خُوَيْلِدٍ يُقيِّدُهُما معًا بحبلٍ ، لِيَمْنَعَهُما
من الصَّلَاةِ . وبذلك سُمِّيَا بالقرينين .

وتقبَّلَ طَلْحَةُ ما نزل به من العذابِ بنَفْسِ مُؤْمِنَةٍ
راضيةٍ ، فتحمَّلَ الحِصَارَ مع إخوانِهِ المُسْلِمِينَ داخلَ شِعبِ
أبي طالبٍ ثلاثَ سَنَواتٍ ، حتَّى أَكَلَ معهم وَرَقَ الشَّجَرِ ،
ولَاكَ الحَصَى . فلم يَزِدْ الاِبْتِلَاءُ المُسْلِمِينَ الاَوائِلَ إِلا قُوَّةً
وثباتًا .

قال ياسر : لقد تحمَّلُوا الكَثِيرَ والكَثِيرَ من أَجْلِ نَشْرِ
الإسلام .

قال والدُه : بالطَّبعِ يا وَلَدِي . لقد صَهَرَهُمُ العذابُ
والاضْطِّهادُ ، ليكونوا قاعِدَةً قَوِيَّةً لِبِناءِ شامِخٍ باقٍ إلى يومِ
الدين .

وهاجرَ طلحةُ إلى المدينة ، واستقرَّ المسلمون هناك
 وذاقوا طعمَ الراحة ، واستطاعوا أن يُمارِسوا شعائرَهم
 لأولِّ مرَّةٍ في أمان ، دونَ خوفٍ أو اضطهاد .

وأراد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو في
 المدينة ، أن يستفيدَ من خبرةِ طلحة ، ومعرفةِ دُروبِ
 الطرق ، حيث إنَّ اشتغاله بالتجارة أتاحَ له ذلك ، فأمره
 أن يتحسَّسَ — هو وسعيدُ بنُ زيد — أخبارَ قافلةِ أبي سفيان
 ويأتيه بأخبارِها .

واستطاعَ أبو سفيان أن ينجوَ بالقافلة ، وخرجتُ قريشُ
 كلها للدِّفاعِ عن أموالِها وتجارَتِها . ووقعتُ عندئذٍ غزوةُ
 بدر . ولم يشهدْ طلحةُ الغزوةَ لخُروجهِ هو وسعيدُ في
 المهمةِ التي كُلِّفَهُما بها الرسولُ — صلى الله عليه وسلم —
 ولذلك اعتبرَهُما الرسولُ مُشترِكينِ في الغزوة ،
 وأشركَهُما في الغنائم .

وجاءت غزوة أحد ، أو يوم طلحة .

سأل ياسر : لماذا سُمِّيَ يومُ أحدٍ بيومِ طلحة ؟

قال والده : استمعَ جيِّداً لما أقولُ لتعرفَ السَّببَ .

فأنتَ بالطبعَ تعرفُ قِصَّةَ غزوةِ أحدَ ، وخُروجَ قُريشٍ في ثلاثةِ آلافِ مُقاتِلٍ لَتَنَارٍ لِقَتَلِها في غزوةِ بدر ، وخرجت معهم الأحابيشُ وأهلُ تُهامَةَ وجماعةٌ من بني كِنانة ، يَقودُهُم أبو سفيانُ بنُ حرب . وكانَ النَّصرُ في أوَّلِ الأمرِ حَليفاً للمُسلمين ، إلى أن عَصَى الرُّماةُ أمرَ الرَّسولِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - ونزلوا عن الجبلِ فانقلبتُ الموازين ، ومَلَكْتَ قُريشٌ زِمَامَ المعركة .

فأسرَعَ طَلْحَةُ فنادى أصحابَهُ للبيعةِ على الموتِ دونَ رَسولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - فأحاطوا بالرَّسولِ فكانوا كالدُّروعِ البَشَريَّةِ الَّتِي أحاطتْ بِهِ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - فأصابَهُ سَهْمٌ في يَدِهِ شَلَّ إصْبَعَهُ ، ثم أصابَهُ

سَهْمٌ آخِرُ فِي رَأْسِهِ نَزَعَهُ بِيَدِهِ . وَتَقَدَّمَ طَلْحَةُ فَحَمَلَ
الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى صَعِدَ بِهِ إِلَى
صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ عَلَى الْجَبَلِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي
يَا رَسُولَ اللَّهِ !

وَابْتَسَمَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ : إِنَّكَ
طَلْحَةُ الْخَيْرِ ، أَوْجِبَ طَلْحَةُ - أَيْ أَوْجِبَ طَلْحَةُ الْجَنَّةَ - .
وَعِنْدَمَا أَقْبَلَ أَصْحَابُهُ لِإِسْعَافِ الرَّسُولِ ، قَالَ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اتْرُكْنِي وَانْصَرِفَا إِلَى صَاحِبَيْكُمَا - يُرِيدُ
طَلْحَةَ .

فَإِذَا بَطَلْحَةُ تَنَزَّهَ دِمَاؤُهُ ، وَفِيهِ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً
بَسِيفٍ ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ ، أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ
جُرِحَتْ كَفُّهُ ، وَسَقَطَ فِي حُفْرَةٍ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .

قَالَ يَاسِرٌ : إِنَّهُ يَا أَبَى فَارِسٌ مِغْوَارٌ ، وَإِنَّ مَا فَعَلَهُ يَنْمُ عَنْ
حُبٍّ وَإِيمَانٍ حَقِيقَيْنِ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم - .

قال والده : ثم شهد طلحة جميع الغزوات . وشارك
 في صنع النصر فكان له في كل غزوة لقب يليق به . ففي
 غزوة العسرة سُمي « طلحة الفياض » لكثرة ما بذله من
 ماله ونفسه . ويوم حنين سُمي « طلحة الجواد » لكثرة
 ما بذل فداءً وعطاءً بعد فرار جيش المسلمين في أول
 المعركة .

ونجد أن عطاء طلحة لم يكن عطاءً في المعارك فقط ،
 ولكنه امتد ليكون عطاءً ماديًا ، فقد كان أكثر المسلمين
 ثراءً وأنماهم ثروة ، فجعل ثروته كلها في خدمة
 الإسلام ، فأنفق على الإسلام بغير حساب .

وتحكي زوجته أنها دخلت عليه ذات يوم فرأته
 مهموماً ، وعند ما سأله أجابها : المال الذي عندي قد كثر
 حتى أهمني وأكربنى .

فَقَالَتْ لَهُ : لَا عَلَيْكَ ! اَقْسِمُهُ .

فَدَعَا إِلَيْهِ النَّاسَ ، وَرَاحَ يَقْسِمُهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ
دِرْهَمٌ .

فَكَانَ طَلْحَةُ جَوَادًا ، لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ عَائِلًا
إِلَّا كَفَاهُ مُؤْنَتَهُ وَمُؤْنَةَ عِيَالِهِ ، فَكَانَ يُزَوِّجُ إِمَاءَهُمْ وَيَخْدِمُ
عَائِلَهُمْ وَيَقْضِي دَيْنَ غَارِمِهِمْ .

قَالَ يَاسِرٌ : إِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ يَسْتَحِقُّ لِقَبِّهِ « طَلْحَةُ
الْجَوَادِ » ، فَلَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ هَذَا اللَّقْبُ مِنْ فَرَاغٍ .

وَخَرَجَ طَلْحَةُ مَعَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ، زَوْجَةَ الرَّسُولِ —
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ يُطَالِبُ بَدْمَ عُثْمَانَ بْنِ
عَفَّانَ ، وَعِزُّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ —
أَنْ يَرَى زَوْجَ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — تُقَاتِلُ
جُنْدَهُ ، فَنَادَى طَلْحَةُ : يَا طَلْحَةُ أَجِئْتَ بَعْرَسِ رَسُولِ اللَّهِ
تُقَاتِلُ بِهَا وَخَبَّاتَ عُرْسِكَ فِي الْبَيْتِ ؟

وتأثر طلحة من كلام عليّ ، وتبيّن له أنّ جانب عليّ هو الذي على حقّ ، فانسحب من المعركة ، وكان ثمن انسحابه أن فقد حياته ، فقد عزّ على مروان بن الحكم انسحابه من المعركة ، فرماه بسهم أودى بحياته . فقد كانت الشهادة مذخورة له .

ألم يقل عنه - صلى الله عليه وسلم - هذا ممن قضى نحبّه . ومن سرّه أن يرى شهيداً يمشى على الأرض ، فلينظر إلى طلحة .

قال ياسر : إنّها قصّة فداء وتضحية رائعة يا أبا ، فشكراً لك يا أسامة لا عتذارك عن الرحلة ، فقد أتحت لى الفرصة لسماع قصّة رائعة .

قال والده : المهم أن تكون قد استفدت منها ، واستوعبت ما فيها من عبر وعظات .